تاريخ استقبال المقال:2015/07/09 تاريخ قبول نشر المقال:2015/11/5 تاريخ نشر المقال:2015/12/01

العنف في مضمون الأمثال الشعبية.

دراسة تحليلية

د. سليم صيفور

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل – الجزائر

ملخص:

تعتبر الأمثال الشعبية في أي مجتمع بمثابة رصيد ثقافي و خزان فكري اجتماعي لعناصره، وأكثر من ذلك فهي تحكي بصورة أو بأخرى مختلف فترات حياة هذا المجتمع و مختلف مراحل تطوره. و قد ساد الاعتقاد في الأوساط المجتمعية أنها تمثل ثمرة الحكمة لعقلاء و وجهاء هذا المجتمع، لما فيها من أحكام و آراء صائبة لا تزال صالحة في أيامنا هذه. غير أن المتفحص لبعض هذه الأمثال يلاحظ أنها تساعد بعض الأفراد على اتخاذ سلوكات عنيفة بدعوى أنه قد قيل مثل هذا في الماضي. أي أن بعض الأمثال كانت بمثابة الخلفية الفعلية لهذه السلوكيات. هذا ما سنحاول إبرازه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: المثل الشعبي. العنف.

Abstract :

Companies Popular proverbs are considered a cultural capital and a social and intellectual stock. They relate, in one way or another, the different stages and company development process. The design that prevails in social settings dictates that these proverbs are the result of the wisdom of a company notable for judgments, valid until today, and the righteous opinions they wear. However, examining these proverbs are found to encourage individuals to commit violent behavior by claiming that it proverbs are said by our ancestors, it means that these proverbs were the same indirect cause of these behaviors. This article aims to highlight the impact of proverbs on violence in society.

Keywords: Popular proverb.Violence.

مقدمة:

لا يستطيع الباحث أن يعزل أية ظاهرة اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية عن الظواهر الأخرى في المجتمع كثوابت ومتغيرات، إضافة إلى ما يضطرب من أحداث أو أفكار في المجتمعات ، والمفكر الاستراتيجي هو ذلك الإنسان المسؤول محلياً (وطنياً) وقومياً إن وجدله بعد قومي، وإنسانياً وهي الدائرة الكبيرة التي نتحرك كلنا فيها. لا يستطيع أن يعزل التفصيلات الصغيرة جداً في مجتمعه، بل في كل قطاع من قطاعات مجتمعه، عن التفصيلات الأخرى المناظرة في الأماكن الأخرى خارج بلده أو إقليمه. وهو معني بشكل رئيس حتى يتأهل أن يكون مفكراً استراتيجياً وفيلسوفاً واقعياً بعيد النظر أن يلم بشكل مقبول بكل ما يضطرب في مجتمعه وفي العالم حتى يستطيع أن يوظف المعلومات التي يكتسبها في بحث ومعرفة ظاهرة ما يهتم بها، وحتى يكون قادراً أن يعرف على أية أرض يقف . هذا هو حال الدارس لموضوع خلفيات العنف في المجتمع.

ولو تصفحنا أوراق التاريخ لوجدنا هذا المفهوم صفة ملازمة لبني البشر على المستوى الفردي والجماعي، بأساليب وأشكال مختلفة تختلف باختلاف التقدم التكنولوجي والفكري الذي وصل إليه الإنسان ، فنجده متمثلا بالتهديد والقتل والإيذاء والاستهزاء والحط من قيمة الآخرين والاستعلاء والسيطرة والحرب النفسية وغيرها من الوسائل .

والاتجاه نحو العنف نجده في محيط سلوكات بعض الأفراد، كما نجده في محيط سلوكات بعض الجماعات في المجتمع الواحد، كما يوجد في محيط المجتمعات البشرية، وهو يوجد في مختلف الأوقات، وقد تزداد نسبة العنف في مجتمع معين وقد تنقص، كما تختلف قوته من مجتمع إلى مجتمع ومن زمن إلى زمن، وقد تكون صور التعبير عن العنف عديدة ومتباينة لأن الناس مختلفون ومتباينون، كما أن الناس يعيشون في ظل مناخات ثقافية وسياسية واقتصادية مختلفة، حيث يمثل الموروث الشعبي مرجعية بارزة في تحديد سلوكات الأفراد من خلال بعض العادات و التقاليد و خاصة الأمثال الشعبية التي يرى بعض المثقفين أنها تختصر حكمة شعب بلغة بليغة، لكن العبرة تكمن في الاسترشاد بها. لكن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: هل كل الأمثال الشعبية تعبر فعلا عن الحكمة؟ هذا ما لا يمكن الجزم به لأن هذه الأمثال من أقوال الناس بمختلف مستوياتهم و رؤاهم و بالتالي يمكن أن تكون هناك أمثال شعبية و إن كانت عباراتها تبدو فيها نوع من الحكمة إلا أنها تتضمن أحيانا دعوات إلى سلوكات غير لائقة ومن بين هذه السلوكات آفة العنف التي انتشرت بشكل واسع في مجتمعنا. فأين تكمن الدعوة إلى سلوك العنف في بعض الأمثال الشعبية لمجتمعنا؟

<u>المحور الأول: العنف كظاهرة اجتماعية</u>1- <u>تعريف العنف:</u> يعرف العنف بأنه سلوك إيذائي قوامه إنكار الآخرين كقيمة مماثلة للأنا أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة والاحترام، ومرتكزة على استبعاد الآخر، إما بالحط من قيمته أو تحويله إلى تابع أو بنفيه خارج الساحة أو تصفيته معنويا أو جسديا. ويعرف أيضا بأنه (سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة

بهدف استغلال طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية بهدف إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة).إذا فالعنف يتضمن عدم الاعتراف بالآخر ويصاحبه الإيذاء باليد أو باللسان أي بالفعل بالكلمة، وهو يتضمن ثلاث عناصر (الكراهية – التهميش – حذف الآخر)[1]والعنف سلوك غير سوي نظرا للقوة المستخدمة فيه والتي تنشر المخاوف والأضرار التي تترك أثرا مؤلما على الأفراد في النواحي الاجتماعية والنفسية والاقتصادية التي يصعب علاجها في وقت قصير، ومن ثم فإنه يدمر أمن الأفراد وآمان المجتمع.يعرّف أنّه "أيّ فعل عنيف تدفع إليه والعنف هو سلوك أو فعل أو قول يؤذي الغير ويتّسم بالعدوانيّة، يصدر عن طريق قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعيّة أو دوليّة يهدف في إطار علاقة قويّة غير متكافئة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، مما يتسبب في إحداث أضرار ماديّة أو معنويّة أو نفسية لفرد أو لجماعة أو لطبقة اجتماعيّة أو لدولة أخرى"[2]**2- الخصائص العامة التي يتصف بها العنف:**

أ- العنف سلوك لا اجتماعي كثيرا ما يتعارض مع قيم المجتمع والقوانين الرسمية العامة فيه.

ب- العنف قد يكون ماديا فيزيقيا وقد يكون معنويا مثل إلحاق الأذى النفسي أو المعنوي بالآخرين.

ت- العنف يتجه نحو موضوع خارجي قد يكون فردا أو جماعات أو قد يكون نحو ممتلكات عامة أو خاصة.

ث- العنف يهدف إلي إلحاق الضرر أو الأذى بالموضوع الذي يتجه إليه.

ولا يمكن دراسة ظاهرة العنف وديناميّاتها دون الإشارة إلي بعض المفاهيم التي تتداخل معها مثال العدوان، الغضب ، القوة ، الإيذاء .**3- بعض المفاهيم المرافقة للعنف:أ- العنف و العدوان:**يرتبط العنف بالعدوان ارتباطا وثيقا فالعنف هو الجانب النشط من العدوانية، ففي حالة العنف تنفجر العدوانية صريحة مذهلة في شدتها واجتياحها كل الحدود، وقد تنفجر عند الأفراد الذين لم يكن يتوقع منهم سوى الاستكانة والتخاذل، أي أن العنف هو الاستجابة السلوكية ذات السمة الانفعالية المرتفعة التي تدفع صاحبها نحو العنف دون وعي وتفكير لما يحدث وللنتائج المترتبة على هذا الفعل[3].**ب- العنف والغضب:** هناك علاقة وثيقة بين الغضب والعنف فلو تخيلنا أن هناك متصلا لوجدنا أن الغضب يقع في أول المتصل في حين يقع الغضب المتوسط في منتصفة في حين يقع العدوان في أخر المتصل، أي إن العنف هو أقصى درجات الغضب ، وهو تعبير عن الغضب في صورة تدمير وتخريب وقتل، وقد يكون هذا التعبير في صورة فردية أو جماعية، وذلك عندما تقوم الجماعات بالتعبير عن غضبها بالحرق أو التدمير للممتلكات العامة مثلا.**ج- العنف والقوة:**القوة هي (القدرة على فرض إرادة شخص ما ، ويتم فيها التحكم في الآخرين ، سواء بطريقة شرعية أو غير شرعية بناء على ما لدى الشخص من مصادر جسدية أو نفسية أو معنوية) ، والملاحظ على أن الأقوياء هم الذين يفرضون إرادتهم حتى وإن كان يقاومهم الآخرين ، وهذا ما نلاحظه عندما يمارس المعلم سلطته في ممارسة العنف علي تلاميذه أو الرجل علي أبنائه بحكم سلطته الأبوية أو الرجل على زوجته في المجتمعات الذكورية. فمن يمتلك القوة يصبح قادرا على ممارسة العنف على الضعفاء سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات وحتى على مستوى الدول.**د- العنف والإيذاء:**إن تعريفات الإيذاء عديدة ومتباينة ويرجع ذلك إلى عدة عوامل منها الشخص الذي يقع عليه الإيذاء والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع ، ولقد ظل فعل الإيذاء داخل الأسرة مثلا يحاط بالكتمان داخل مجتمعاتنا، كما كان حتى وقت قريب يمارس في مدارسنا من قبل المدرسين تجاه التلاميذ تحت شعار التربية، ولكن في ظل التطورات التربوية الحديثة

وانتشار فكر حقوق الطفل والمرأة أصبح ينظر لهذه السلوكات على أنها ممارسات عنيفة بغض النظر عن نظرة العرف والتقاليد لها.**4- النظريات النفسية والاجتماعية المفسرة للعنف:أ- العنف في ضوء نظرية التحليل النفسي:**يرجع فرويد العنف إما لعجز(الأنا) عن تكييف النزعات الفطرية الغريزية مع مطالب المجتمع و قيمه ومثله ومعاييره، أو عجز الذات عن القيام بعملية التسامي أو الإعلاء، من خلال استبدال النزعات العدوانية والبدائية والشهوانية بالأنشطة المقبولة خلقيا وروحيا ودينيا واجتماعيا، كما قد تكون (الأنا الأعلى) ضعيفة، وفي هذه الحالة تنطلق الشهوات والميول الغريزية من عقالها إلى حيث تتلمس الإشباع عن طريق سلوك العنف.[4]كما يرى فرويد أن دوافع السلوك تنبع من طاقة بيولوجية عامة ، تنقسم إلى نزعات بنائية (دوافع الحياة) وأخرى هدامة (دوافع الموت) وتعبر دوافع الموت عن نفسها في صورة دوافع عدوانية عنيفة، وقد تأخذ هذه الدوافع صورة القتل والحقد والتجني ومقر دوافع الموت أو غريزة التدمير هو اللاشعور.في حين ترى الفرويدية الحديثة أن العنف يرجع إلي الصراعات الداخلية والمشاكل الانفعالية والمشاعر غير الشعورية بالخوف وعدم الأمان وعدم المواءمة والشعور بالنقص .

ب- النظرية الإحباطية: وضع دولارد مجموعة من القوانين السيكولوجية لتفسير العدوانية والعنف منها:

*- كل توتر عدواني ينجم عن كبت .

*- ازدياد العدوان يتناسب مع ازدياد الحاجة المكبوتة .

*- تزداد العدوانية مع ازدياد عناصر الكبت .

*- إن عملية صد العدوانية يؤدي إلى عدوانية لاحقة بينما التخفيف منها يقلل ولو مؤقتا من حدتها .

*- يوجه العدوان نحو مصدر الإحباط وهنا يوصف العدوان بأنه مباشر وعندما لا يمكن توجيه العدوان نحو المصدر الأصلي للإحباط، فإنه يلجأ إلى توجيه العدوان نحو مصدر آخر له علاقة مباشرة أو رمزية بالمصدر الأصلي، وعندها يسمى هذا العدوان مزاحا وتعرف هذه الظاهرة بكبش الفداء، فالمعلم الذي يحبط من قبل مديره يوجه عنفه نحو الطلبة لأنه لا يستطيع أن يعتدي على المدير والزوجة التي يعنفها زوجها تقسو على أطفالها.[5]ج - **نظرية التعلم الاجتماعي:**وهي من أكثر النظريات شيوعا في تفسير العنف وهي تفترض أن الأشخاص يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، وأن عملية التعلم هذه تبدأ بالأسرة، فبعض الآباء يشجعون أبناءهم على التصرف بعنف مع الآخرين في بعض المواقف، ويطالبونهم بألا يكونوا ضحايا العنف. و عندما يجد الطفل أن الوسيلة الوحيدة التي يحل بها والده مشاكله مع الزوجة أو الجيران هي العنف ، فإنه يلجأ إلى تقليد ذلك . [6]**الفرضيات الأساسية لنظرية التعلم الاجتماعي:**

- أن العنف يتم تعلمه داخل الأسرة والمدرسة ومن وسائل الإعلام.
- أن العديد من الأفعال الأبوية أو التي يقوم بها المعلمون والتي تستخدم العقاب بهدف التربية والتهذيب غالبا ما تعطى نتائج سلبية.
- إن العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء والخبرات التي يمر بها الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة، تشكل شخصية الفرد عند البلوغ، لذلك فإن سلوك العنف ينقل عبر الأجيال.
- إن إساءة معاملة الطفل في المنزل يؤدي إلي سلوك عدواني تبدأ بذوره في حياته المبكرة ويستمر في علاقته مع أصدقائه وإخوته، وبعد ذلك مع والديه ومدرسية.**د- مدرسة التنشئة الاجتماعية:**وهي تفترض أن العنف يتعلم ويكتسب خلال عملية التنشئة الاجتماعية، كما يتشرب

المرء مشاعر التمييز العنصري أو الديني، ويؤكد ذلك أن مظاهر العنف توجد بشكل واضح في بعض الثقافات والثقافات الفرعية بينما تقل في ثقافات أخرى، فبعض الثقافات الفرعية التي تمجد العنف تحتل نسبة الجريمة فيها معدلات عالية، كما نجد أنه في المجتمعات الذكورية التي تعطي السلطة للرجل كثيرا ما نجد أن الرجال يمارسون العنف بشكل واضح ويسوقون المبررات المؤيدة لعنفهم[7]. هذا بالإضافة إلى ما يسود المجتمع من توجهات فكرية مؤيدة أو معارضة للعنف متمثلة في الأمثال والعرف والثقافة السائدة.

هـ- الاتجاه البنائي الوظيفي في تفسير العنف:يقوم هذا الاتجاه على فكرة تكامل الأجزاء في كل واحد والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع الواحد، لذلك فإن أي تغير في أحد الأجزاء من شأنه أن يحدث تغيرات في الأجزاء الأخرى وبالتالي فالعنف له دلالاته داخل السياق الاجتماعي، فهو إما أن يكون نتاجا لفقدان الارتباط بالجماعات الاجتماعية التي تنظم وتوجه السلوك، أو نتيجة لفقدان الضبط الاجتماعي الصحيح، أو نتيجة لاضطرابات في أحد الأنسقة الاجتماعية مثل النسق الاقتصادي أو السياسي أو الأسري، أو نتيجة لسيادة اللامعيارية في المجتمع واضطراب القيم[8].

و- نظرية الصراع في تفسير العنف:وتقوم النظرية على الفكر الماركسي التي ترجع العنف في المجتمع إلى الصراع وخاصة الصراع الطبقي، والصراع أيضا يمتد ليشمل كافة الصراعات السياسية والإثنية والدينية، وصراع المصالح والصراع على السلطة، والصراع يمثل التربة الخصبة لزيادة مظاهر العنف في الوقت الراهن، خصوصا في ظل عدم توازن القوى، فعادة ما يميل الطرف الأقوى لفرض هيمنته علي الأضعف لتستمر بعد ذلك دائرة العنف[9].

5- أنواع العنف: يمكن أن نجمل أنواع العنف في ثلاثة:

أ - **العنف الأسري:** هو الذي يتمّ داخل العائلة ويتمثّل في الضرب والاغتصاب. وتطبيق العادات الضارة كتشويه الأعضاء التناسلية للبنت، وتفضيل الذكر على الأنثى، وزواج الصغيرات لما في هذا النوع من الزواج من "إكراه للطفلة ويحرمها من حقوقها في التعليم ويحمّلها أعباء نفسيّة واجتماعيّة وصحيّة ويصيبها أو يحتمل أن يصيبها بسببه ضرر نفسي أو صحّي أو جنسي" [10]والعنف الذي له علاقة بالمهر وسائر العقوبات بموجب الأعراف الاجتماعية واستغلال الدين.

ب- العنف المجتمعي: وهو الذي يمارسه المجتمع على الإنسان مثل الاعتداءات الجنسية كالاغتصاب، والتحرّش الجنسي في مواطن العمل والمؤسسات التعليمية، وغيرها من الأماكن، نضيف إلى هذه تجارة الجنس والبغاء السري والعمالة المنزلية، والعنف ضدّها، وصور الخلاعة المسيئة للمرأة، وعنف الدول أو تواطؤها على ارتكابه عن قصد أو عن غير قصد. والعنف أثناء النزاعات المسلحة، والعنف ضدّ اللاجئين وخاصة النساء المهاجرات، والعنف عند الحجز.

ج- العنف الثقافي: وهو العنف الناتج عن ثقافة دينية أو مجتمعية تستغلّ لتكريس العنف الأسري واكتساب شرعيّة إيديولوجية لممارسته.ويتفرع عن هذه الأنواع الثلاثة للعنف، العنف القانوني الذي يتمثّل في حرمان الزوجة من أبنائها وفي طردها من البيت وطلاقها لأتفه الأسباب. والعنف الاقتصادي الذي يمارسه الزوج مثل مصادرة أملاك الزوجة أو حرمانها من الإنفاق عليها وعلى الأبناء.

المحور الثاني: الأمثال الشعبية في تراثنا الثقافي.

1-**تعريف المثل:** لقد كثرت تعاريف المثل وتنوعت، لكنها جميعا لا تخرج عن أنه" قول مأثور، تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مثل تلك المناسبة". وقد كان إدراك العرب لأهمية الأمثال، سواء كانت فصيحة أم شعبية جليا وواضحا، فجموعها وحرصوا عليها.

كما يمكن تعريف المثل على أنه جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل. وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات. وإذ يلخّص المثل قصة عناء سابق وخبرة غابرة اختبرتها الجماعة، فقد حظي عند الناس بثقة تامة، فصدقوه لأنه يهتدي في حل مشكلة قائمة بخبرة مكتسبة بمشكلة قديمة انتهت إلى عِبَر لا تنسى. وقد قيلت هذه العبرة في جملة موجزة قد تغني عن رواية قصة ما جرى.

والمثل في قول الفارابي:"هو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه في ما بينهم وقنعوا به في السرّاء والضرّاء، ووصلوا به إلى المطالب القصيّة، وهو أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص [11] ولذا فالمثل قيمة خلقية مصطلح على قبولها في شعبها. وهو يمر قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير هذا الشعب، وينمّ صراحة أو ضمنا عن هذه المعايير على كل صعيد وفي كل حال يتعاقب عليها الإنسان في حياته".

2- مصادر المثل الشعبي: من الأمثال الشعبية ما تفرزه "حادثة" أو "حكاية" حيث تلخص خبرة حياتية أو موقف في عبارة أو تعليق موجز. وقد وجد المثل سبيله إلى البلاغة العربية فيما عرف باسم الاستعارة التمثيلية، حيث يوحي بإجراء تشبيه بين حالتين: الحالة الراهنة التي يستعير فيه القول المتمثل به، والحالة التي صدر عنها ذلك القول، ويكون المثل إشارة موحية تتكئ على خبرة حياتية سابقة. باستعراض هذا المجال في المثل الشعبي نرى أنه يُستمد من عدد من المصادر:

أ- ما استُمد من حكاية أو نكتة شعبية، وقد يستعمل المثل بين الناس، ولا يعرف كل من يستعمل تفاصيل الحكاية أو الحادثة التي وراءه، وإنما يتعاملون مع الإيحاء العام لعبارته.

ب- ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو بشيء من التغيير الطفيف: (البطن ما يملاها غير التراب) وهو تعبير عن المثل المعروف: "ما ملأ ابن أدم وعاء شرا من بطنه".

ت- ما استمد من كتاب التراث الطبي الأدبي.

ث- المستمد من الأغاني الشعبية: ما يحس بالجمرة غير اللي كواتو.

ج- ومن الأمثال ما هو عصارة تجارب وممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب، وهذا ما يدخل ضمن إطار ما يسمى بالطب الشعبي أو التقليدي.

ح- وهناك أمثال تحمل بصمات معتقدات قديمة جدا، مما يشير إلى قدم هذا التراث الذي وصلنا.

خ- و أمثال تحمل ملاحظات دقيقة لأعماق النفس البشرية، أو التجربة الإنسانية العامة.

د- ومما يلحق بالأمثال تعابير، أعجب الناس بجماليتها أو بالصورة الكاريكاتيرية الساخرة فيها مثل عن شخص يدعي المرض: "غطوني و إذا طاب شيء أعطوني".

ذ- لا شك بأن هناك أمثال مستمدة من خلال التعامل مع شعوب وثقافات أخرى، ومنها كتب الديانات الثلاثة، ومصادر أخرى مثل: "النظافة من الإيمان و الوسخ من الشيطان"[12]

3- مضامين و خصائص الأمثال الشعبية: إذا نظرنا إلى الأمثال في مجموعها من زاوية المضمون، وجدنا انتماءها إلى أحد المضامين التالية[13]:

أ- قيمية: ومثال عليها الأمثال التي تعبر عن موقف من بعض المسببات المرضية، والتي أكثر ما تكون تلك المرتبطة بعادات الغذاء. مثل:"تغذى و تمدّى تعشى و تمشى".

ب – وصف بعض الأنواع من الآلام ومحاولة تقدير شدتها.

ج – التعابير التهكمية، مثل: "دراهم المشحاح يأكلهم المرتاح".

4- خصائص الأمثال: المثل و العبارة الشعبية من الأشكال الأدبية التي لها عناصرها المميزة و سماتها المحددة؛ تقوم على إسقاط تجربة سابقة على تجربة حالية. و هي ليست وقفا على طبقة معينة من الناس بل ما تراضته العامة و الخاصة و اصطلحت عليه[14]. يقول رشدي صالح: "الأمثال بنود في دستور غير مكتوب، تعبر عن تجارب العامة، و تصور مواقفهم من مشكلات الحياة، فلا نجد وجها من وجوهها إلا وأطلق فيه العامة عشرات الأمثال و الأقوال"[15]. و هو يشير بكلمة "الأقوال" إلى العبارات الشعبية. ونظرا لخاصية التداول المميزة لها، فهي تميل لأن تصبح ذات أشكال قارة يتواضع عليها الناس فتغدو تراثا يحفظ كما جاء دون تغيير.**المحور الثالث: نظرة تحليلية للأمثال الشعبية الدالة على العنف:**رغم أن للأمثال الشعبية قيمة فنية و بلاغية كبيرة خاصة في مجتمعنا إلا أنها تنطوي أحيانا على تعابير و ألفاظ تحمل دلالات و دعوات فاضحة للاستخدام المفرط للعنف رغم توفر أساليب أخرى أكثر إصلاحا و تأثيرا و أكثر نفعا و إقناعا. و تتنوع دلالة هذه الأمثال عن العنف؛ من العنف الجسدي إلى اللفظي إلى الفئوي و الاجتماعي... و غيرها.

1- **أمثال عن العنف في الأمثال الشعبية حول المرأة**:

كثيرا ما ينظر للمرأة على أنها مخلوق دوني من مرحلة ولادتها إلى غاية شبابها و كبرها فنجد بعض الناس مثلا عندما تلد المرأة مولودا يتخذون موقفين؛ فإن كان المولود ذكرًا يقال لها" مبارك ما زاد عندكم"،وإن كانت بنتًا يقال لها" الحمد لله على سلامتك"،و يتجلى ذلك أيضا في بعض الأمثال الشعبية مثل :- هم البنات للممات.- تربية المرأة- شاور المرأة و لا تأخذ برأيها. -زواج البنت سترة.- قوّم النساء بالنساء و البقر بالعصا.- النساء كي ماء البحر كلهم مالح الذوق.

وغيرهاكثير ،طبعًانحنندركمقدارالعنفالذيتسببهبهذهالقيم،فالمرأةتستحقالضربوباستمرار ،والمرأةعالةعلىأسرتهاوالمجتمع،وهيغير قادرة على التربية في حال وفاة زوجها مثلا.هذا الموروث الاجتماعي يحقق دونية المرأة ويكرسها ،ورغم التطور الفكري و الاجتماعي الذي وصلت إليه المرأة. و تمثل هذه النظرة الدونية حلقة الوصل بين الفهم الخاطئ لطبيعة المرأة و بين الممارسات و السلوكات العنيفة ضدها حيث يتكون رصيد ثقافي و اجتماعي جاهز لكل فرد حول طبيعة المعاملة العنيفة ضد المرأة.

2- أمثال شعبية عن العنف ضد الأطفال الأيتام:لا تقتصر الدلالة الرمزية و اللفظية للعنف في الأمثال على المرأة فحسب بل هناك بعض الفئات الاجتماعية طالتها هذه الأمثال بعبارات و صيغ متضمنة للعنف و منها فئة الأطفال الأيتام .و هذا الأمثال يحمل دلالة واضحة عن نوع المعاملة العنيفة ضد الأيتام:- اليتيم إذا ضربتوا اطغيه. - اتعلم الحفافة – الحلاقة- في رأس ليتامى.و هذه الأمثال نجدها تتنافى صراحة مع الآية الكريمة:﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ الضحى.

3- أمثال عن العنف فيما بين الأفراد بشكل عام: حيث نجد أن الكثير من الأمثال الشائعة الاستعمال دعوة صريحة إلى استعمال العنف كوسيلة وحيدة والمؤسف أن بعضها أصبح بمثابة شعار يتباهى به بعض الأفراد و حتى المؤسسات التربوية تستنجد به للتهديد و الوعيد ضد الأطفال المتمدرسين و أهم مثل شعبي يبرز في أذهاننا هو: -العصا لمن عصا.وحسب هذا المثل نجد أن صياغته تستبعد كل وسائل التربية الممكنة كالرشد و التوعية و الاستصحاب الحسن من أجل ثني الأفراد عن سلوكاتهم العصانية. مثل آخر نجد أن أغلب أفراد مجتمعنا يستعملونه بشكل واسع عند الدعوة لمأدبة أو طعام فيقال:

- أرواح نضربوا فيها غذا أو عشا. فحتى سلوك الأكل أو الطعام الذي من المفروض أن يتم في هدوء و سكينة، أصبح بمثابة الاستعداد لمعركة أو على الأقل لجولة منازلة أو ملاكمة.كما لا يخلوا موضوع التربية و التنشئة الاجتماعية من حصته في بعض الأمثال تدل على نوع خاطئ من التربية التي ينشئ المجتمع أفراده عليها مثل: - أنا و خويا على بن عمي، و أنا و بن عمي على البرّاني أو الغريب.فهذا النوع من الأمثال لا يشجع على إحقاق الحق و نصرة المظلوم بقدر ما يشجع على عقد تحالفات تكون الأسرة الصغيرة أساسها ثم يتوسع هذا التحالف إلى الأسرة الكبيرة و هكذا...

- إذا تعادلو الأكتاف أضرب لا تخاف: والمعنى إذا عادلت خصمك طولا فاضربه ولا تسأل عن عمره أي لا تسأل عما إذا كان هو أكبر منك سنا لأن السن ليس شرطا على التغلب على الخصم.

خاتمة:

و خلاصة هذه المداخلة هو أننا أردنا القول أنه ليس كل ما هو متوارث من التراث الشعبي وبخاصة الأمثال الشعبية يمكن اعتباره مقدس و لا يجوز المساس به، ذلك لأنها أقوال بشرية تصيب أحيانا وتخطئ أحيانا أخرى، صحيح أنها تحمل بين طياتها أقوالا بليغة و حكما رزينة إلا أن الواجب علينا اليوم هو التفريق بين ما هو تربوي هادف و بين ما هو مفسد محرض على سلوكات مرضية كالعنف و غيره. أو على الأقل عدم إيصالها إلى الأجيال القادمة كنوع من تحمل المسؤولية الأخلاقية والتاريخية نحو هذه الأجيال، من أجل عدم توريث هذه الظاهرة الخطيرة المعالم و الآثار.

الهوامش

[1]- صالح محسن : العقاب أسباب وآثار وحلول إجرائية ، قسم التوجيه والإرشاد ، وكالة الغوث الدولية 2006 ص25.

[2]- عبد الوهاب ليلى، العنف الأسري: الجريمة والعنف ضدّ المرأة ط1 دمشق، دار المدى 1944 ص 16.

[3]- إجلال إسماعيل حلمي : العنف الأسري ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر 1999 ص 213

[4]- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت، دار سعاد الصباح، ط1، 1993ص 213

[5]- شام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، القدس، منشورات صلاح الدين، 1975، ص 47-50.

[6]- فؤاد اسحاق الخوري، الذهنية العربية، العنف سيد الأحكام، بيروت، دار الساقي، 1993، ص28.

[7]- أحمد عكاشة: 1992 الطب النفسي المعاصر، المكتبة الأنجلو المصرية مصر 1992 ص 124.

[8]- نبيل راغب : أخطر مشكلات الشباب ، القلق العنف الإدمان ، دار الغريب للطباعة والنشر مصر 2003 ص 126

[9]- نبيل راغب :مرجع سابق، ص 135.

[10]–www.saaid.net/daeyat/nohakatergi/76.htm

[11]- محمد قنديل البقلي : وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.ص 12

[12]- خير الدين الأسدي: موسوعة حلب المقارنة، منشورات معهد التراث العلمي العربي-جامعة حلب، 1981 م ص 65

[13]- محمد صادق زلزلة: مجمع الأمثال العامية البغدادية وقصصها، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، 1976 ص 198

[14]- نعمان بوكروح: الأمثال و العبارات الشعبية في الرواية الجزائرية المترجمة إلى اللغة الفرنسية رواية اللاز نموذجا، رسالة،جامعة قسنطينة2007 ص 17.

[15]- رشدي صالح، الفنون الشعبية، دار القلم، القاهرة، 1961، ص ص 36-37.